رسالة الأزهر
فى القرن العشرين
للأستاذ المسيحى لبيب الرياشى
مؤلف كتاب « نفسية الرسول العربى »

رسالة الأزهر فى هذا القرن ، القرن العشرين المسيحى ! .. أم القرن الرابع عشر المحمدى ؟ — هى تصير رسالة الرسول العربى العالمى المقدسة فى القرن الأول المحمدى منذ ألف عام وثلثمائة عام وستين عاما وثمانية أعوام « ١٣٦٨ »

أجل هى تصير رسالته مذ تحنث وتعبد فتجرد الى أن غطه الوحى فعلم ، الى أن حمى التنزيل وتتابع — فجاهد وعلم وأنذر وبشر — فبلغ بشر بالحكمة والموعظة الحسنة الناس جميعاً « قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعاً »

أنذر وبشر وعلم — بفؤاد وادع وقلب سليم وسريرة طاهرة — فبلغ : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » الى أن أكمل جهوده وأتم رسالته واستودعها الفرقان الحكيم . وجعل قيمين على تنفيذها سرائر صحابته وتضحية المؤمنين بنبوته ليعملوا بما أوحى اليه وأنزل عليه ويجاهدوا وينيروا

يجاهدوا وينيروا — البشر جميعاً بدين الفطرة ، والأخاء ، والشورى ، والمساواة ، والعدل ، والعلم ، والحكمة ، والحجة ، والضمير ، والحرية ، والجرأة ، والصراحة ، والاستقلال ، وقرة أعين فى الدنيا « ورضوان من الله أكبر » فى الآخرة

إذن على أسس هذا الواجب العادل ، وهذا التمثل الحق ، يُرفع هيكل مجيد لرسالة الأزهر فى القرن الرابع عشر المحمدى أو القرن العشرين كما أسمته وزارة المعارف المصرية الجليلة

إذن يرفع هيكل رسالة الأزهر فى هذا القرن كما رفع هيكل الانسانية الالهى فى القرن الأول المحمدى — فيقابل الدور الأول دور التحنث والتعبد والتجرد والعلم ، بتحنث وتعبد ودراسة من ينتخبهم الأزهر أم يتجندون للعلم فى الأزهر على أن ينتخب الأزهر طلابا من أولى الشمور الخصب وأولى العزم والذكاء العميق ، والتحسس الضميرى ، عشاق التضحية وعشاق الحق ويثقفهم ثقافة كاملة شاملة

ينتخب الأزهر طلابه من الشبان ممن اكتملت صفاتهم تلك ليتعلموا مع علم الدين وشرعة الرسول وسنته وسيرته واللغة العربية اللغات الحية العالمية ، ويدرسوا الأديان العالمية وتاريخها وفلسفتها وأساطيرها

كل فريق يتخصص للغة حية ، ويتخصص لفرع من فروع العلوم ليعلموا عن كل علم جوهره الحق فيكون علمهم علما حقا « وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا »

قلت ينتخب الأزهر طلابه من الذكور والإناث فلا يحتكر العلم والتبشير الذكور عملاً بالآية الكريمة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . . . » ولأن واجبهم فى التبشير العالمى واجب الذكور والأناث على سواء

وقلت ينتخب الأزهر طلابه من ذوى الشعور الخصب والذكاء العميق والتحسس الضميرى وعشاق التضحية والحق لكى لا يقولوا الله ما لم يقل فى كتابهم سيرة الرسول ، ويعملوا الرسول ما لم يعمل فى تبيان حياته ، ويضعوا فى فمه ألفاظا تظهر منها فمه

فيقولون مثلاً « غزوة » لكل واقعة انتصافية ، أو تهذيبية أو تبشيرية

إن الغزوة كتبت بعقلية من كتب بعد مائتى سنة من وفاة الرسول مع ما فى الغزو من ظاهرة السلب وحب القتال غير المعقول وغير الحق

إن المفهوم والمعقول من الآيات المنزلة عند ما أذن للرسول بالقتال كانت للانتصاف والتهذيب والتبشير لا للغزو (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)

(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فهل يحب الغزاة الناهبين ؟

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً)

(الذين إن مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور)

(وقاتلوا حتى لا تكون فتنة)

تلك هي الآيات الحكيمة المنصفة التي نزلت على الرسول ، فمن جاء كتاب السيرة ومن تابعهم بالغزو ... وبالغزوات

ولكي لا يقول الرسول هكذا : تذهب الكثرة من المؤرخين إلى أنهم - أي الصحابة - فكروا وفكر محمد (ص) ورأيهم في الانتقام من قريش لأنفسهم ومبادأتهم بالعداوة والحرب

ولكي لا يقولوه الطعن والشتم والسباب ، بقولهم : طعن آلهة قريش ، شتمها ، سبها ، ولكي ، ولكي

إن الرسول لم يكن منتقما ، وقد حذر الانتقام ، ولم يكن سباباً ، والحديث الصحيح والقرآن الحكيم ينفيان عنه حب الانتقام والشتم والسباب ؛ فمن أي مصدر قرآني ، أو حديث صحيح وضعوا في صدر الرسول الانتقام وفي فمه السباب ؟ ؟ ...

إن الرسول فكر في الانتصاف من أعداء الله وأعدائه . فكر في حرية التبشير ، فكر في تعليمهم الحق ، وعلم بما فكر . فلما لم يذعنوا بالحسنى بعد ثلاثة عشر عاما أذن له في القتال الانتصافي ، ولم يسب آلهة قريش ، بل عابها . لم يسبها لأن حديثه مشهور : لا تكن سبابا

« ليس المسلم بالسباب ولا بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء »

« إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً »

للأسباب المتقدمة التي صهرناها صهراً تنادى الأزهر بيت العلم المحمدي الأول ، وتقول : إن واجب رسالته الواجب . الواجب كتابة سيرة للرسول تتفق والقرآن الحكيم ؛ وعقلية الرسول البريئة وأعماله الحقة . وقلنا على طلاب الأزهر أن يثقفوا ثقافة جامعة شاملة ، لكي لا يرموا قلب الحق بما رماه به كاتب مشهور تعلم في الأزهر ، واتصل بالشيخ محمد عبده اتصالاً وثيقاً ، وكان من المؤمنين برسالة الرسول ونبوة الرسول !

لكي لا يرموا قلب الحق وإن تعريباً وان نقلا بقولهم في تأبين من اشتهر بالبخل وحب المال اشتهاره بالذكاء والدهاء

لكي لا يرموا قلب الحق بقولهم

« في مثل هذا اليوم منذ مائة سنة مات الرجل العظيم . مات الرجل الخالد . مات ڤولتر . ما مات ڤولتر حتى احدودب ظهره تحت أثقال السنين الطوال وأثقال جلائل الأعمال وأثقال الأمانة العظيمة التي عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فحملها وحده ، ألا وهي تهذيب السريرة الانسانية فهذبها فاستناوت فاستقام أمرها . . »

وڤولتر هذا الذي هذب السريرة الانسانية فاستقام أمرها ، ڤولتر هذا الذي عظمه مسلم مؤمن وسكب عظمته في صدر كل عربي مسلم . ڤولتر هذا هو كاتب القصة التمثيلية بعنوان « محمد » ولقد أهداها إلى البابا بنوا الرابع عشر بهذه العبارات « فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس اعجاباً بالفضيلة إذا تجرأ فقدم الى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية . والى مَنْ غير وكيل رب السلام ، والحقيقة أستطيع أن توجه بنقدي فسق نبي كاذب وأغلاطه ؟ فلتأذن لي قداستك في أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة وإني مع الاجلال العميق أجثو وأقبل قدميك القديستين

في ١٧ أغسطس سنة ١٧٤٥ « ڤولتر »

ترى لو كان المعرب الذي استعار بلاغة القرآن تثقف الثقافة الحقة الجامعة الشاملة وفهم نفسية من كتب عنه وأعماله وأقواله

ترى لو كان مثقفاً ثقافة صحيحة أكان يقول عن ڤولتر قوله سواء أكان يقول إن ڤولتر هذب السريرة البشرية فاستناوت فاستقام أمرها ، وإن أمانة هذا التهذيب عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فحملها وحده ؟ ويكون تهذيبه للبشر بهذا الشكل الفاسق غفر الله لمن عرب ولمن ثقف هذه الثقافة

إذن لتكن رسالة الأزهر تعليم اللغات الحية ولتكن رسالته الثقافة الجامعة الشاملة ليطلع طلابه على أهم المسائل فيظهروا الحق حقاً والباطل باطلاً

لتكن رسالة الثقافة الشاملة ، فلا يصاب طلاب الحق بأمثال من ذكرت ، وبأمثال عالم كتب حياة محمد (ص) وعند ما شاء أن يصور كيف خشيت قريش البعث ورعبت من جهنم قال : « أما الجنة التي أعدت للمتقين ، وجهنم التي أعدت للظالمين . أما ذلك كله فلم يكن يدور بخاطرها ، وذلك كله قد سمعوا به في دين اليهود ، وفي دين النصارى » . وقال في صفحة ثانية : « والموسوية والعيسوية تصفان حياة الخلد ورضا الله »

لا أعلم أين قرأ المؤلف وصف الخلد، ووصف الجنة وجهنم فى الدين الموسوى !

لا جنة ولا جهنم أيها المؤلف الفاضل فى الدين الموسوى ولم يرد وصفهما لموسى . إن التوراة اكتفت بقولها : (إن الله له منتقم يفتقد ذنوب الآباء فى البنين الى الجيل الرابع ، ومن ثمة يفتقد خطايا الخاطىء وذنوبه بجسمه ونسله وأنعامه ومواشيه فحسب)

مثل هذا القصور فى الثقافة لا يليق بمن يكتب حياة أعظم من سار على قدمين من بنى البشر — حياة الرسول — لذا ترى أن أول واجبات رسالة الأزهر توسيع دائرة المعارف وتثقيف الطلاب ثقافة جامعة شاملة قبل أن يكتبوا عن الرسول وقبل أن يحللوا الحكمة السامية التى تجسدت فى شخص محمد ، والأدب الرفيع الذى جلل أقواله وأعماله

جهلت قومه عليه فاغضى وأخو الحلم دأبه الأغضاء

وقلنا بالتخصص ليخرج من طلابه نوابغ فى أى فرع من فروع العلوم ، فاذا تخصصوا ونبغوا حق لهم أن يفسروا القرآن الحكيم لأنهم يومئذ ، ويومئذ فقط ، يفهمون الآيات الطبية والتشريعية العالية الدولية والنفسية البشرية ، وعلوم الفلك والطبيعيات وو . . . . إن فى القرآن مجموعة العلوم البشرية فأنى لغير مجمع كبير علمى اخصائى فى أى العلوم يفهمه ويفسره ؟ فاذا تخصصت كل فئة لفرع أجادت فهم القرآن وأجادت تفسيره

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر »

هذه الأطوار الستة وردت فى القرآن الحكيم منذ أربعة عشر قرناً أثبتتها الاكتشافات الحديثة أمس « واتخذها الفلاسفة الطبيعيون حجة على أطوار خلق الجنين توافق الأطوار التى نشأت فيها أصول الحيوانات فى الأزمنة العريقة فى القدم قبل خلق الانسان بادهار طويلة ، وذلك لأن الانسان يكون فى الطور الأول من إنشائه نطفة أشبه بالحيوانات السافلة المسماة بذوات الجوف ، ثم يستحيل إلى علقة فيصير أشبه بالسمك ، ثم ينسلخ مضغة فيكون شبيهاً بالحيوانات المائية البرية ذوات العمرين ، وبعد ذلك يتحول إلى مشابهة أدنى مراتب الحيوانات اللبون وهو حينئذ فى بدء الطور الذى ينمو فيه خلقاً سوياً متميزا بخصائصه النوعية »

أنى لغير الطبيب الحكيم أن يفهم عظمة القرآن وعلوم القرآ إذا مرت أمامه الآية الطبية تلك وأمثالها وأنى له أن يفسرها ؟

وأنى لغير المشترع أن يعلن بسرعة أن أعظم لجنة ألفتها جمعية الأمم فى القرن العشرين مؤلفة من أكبر مشترعى العا منذ أشهر معدودة لتحكم بين دولتين هما من أعضاء جامعة الأ

لقد قالت اللجنة التشريعية : مادام أن مجلس الثلاثة عشر قا إن إيطاليا هى المعتدية على الحبشة ، ولما كان كلاهما عضوا فى جامع الأمم فعلى جامعة الأمم أن تناصر المعتدى عليها

ذلك كان حكمها . فلنسمع حكم القرآن فى مثل هذا الموقف ولنعتبر ولنحترم

لنسمع للحكم السامى الرفيع الذى جاء به الفرقان منذ أربعة عشر قرناً ، الحكم الجامع الشامل ، الحكم الذى عجز عن الأتيان بمثله أعظم علماء الشرع فى القرن العشرين :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين »

* * *

فاذا اكتملت الثقافة واكتمل التخصص وتعلم اللغات فقد ابتدأ دور الجهاد فأصبحت رسالة الأزهر الثانية والثالثة . أما الدور الرابع فالترجمة وإرسال الوفود تحت كل كوكب للتعليم والانذار والتبشير بالحكمة والموعظة الحسنة بفؤاد وادع وقلب سليم

وأن يكون من جهاد الأزهر طبع المؤلفات النفيسة عن الرسول وعن القرآن وعمن نصروا الرسول متشرفين بحكمة امامته العظمى ، وليكن من جهاده نشرها

حسب الأزهر أن يقوم بما تقدم لينقل للانسانية رسالة سامية تطمئن الأصغرين وتسعد فى الدارين

الخلاصة عن رسالة الازهر

١ — أن ينتخب طلابه من ذوى الشعور الخصب وعشاق الحق ليتعلموا مع العلوم الشرعية الأزهرية كلها تاريخ الأديان وفلسفة تلك الأديان وأساطيرها

٢ — ليتعلموا اللغات الحية

٣ — وأن يكونوا فئات فى التخصص كل فريق يتخصص